الدور البطولي للمرأة اليمنية في ثورة أكتوبر

خاضت المرأة اليمنية نضالاً بطولياً الى جانب أخيها الرجل ضد الاستعمار والاستبداد وكانت حاضرة في صناعة تاريخنا الوطني المعاصر من خلال مشاركتها النضالية في ميدان الكفاح والشرف.

وعلى الرغم من قتامة الأوضاع التي عاشها اليمن في الشمال والجنوب إبان الاستعمار والاستبداد إلاّ أن المرأة اليمنية كالعادة اثبتت أنها على مستوى رفيع من الوعي الوطني وهذا ما تجلى في مشاركتها في ثورة 14 أكتوبر ليس من خلال المناضلة دعرة فحسب وإنما من خلال مئات وآلاف الاسماء اللاتي صنعن بنضالهن فجر الاستقلال المجيد في 30 نوفمبر 1967م.

وتزامناً مع احتفالات شعبنا بالعيد الـ54 لثورة 14 أكتوبر سلطت الدكتور نجيبة محمد مطهر الضوء على نضال المرأة اليمنية.. والى أهم تلك المحطات:

د. نجيبة مطهر:

شاركت النساء في المسيرات العمالية ضد المستعمر البريطاني عام 1956م

لعبت جمعية المرأة دوراً كبيراً في دعم ثورة سبتمبر

آوت المرأة الفدائيين واشعلت عدن بالمسيرات والمظاهرات والمنشورات ضد الاستعمار

المناضلة دعرة وأم شايع حملتا السلاح ضد الاستعمار

مكاسب كبيرة تحققت للمرأة اليمنية بعد الوحدة

من خلال مراحل النضال المختلفة التي خاضتها جماهير شعبنا من أجل القضاء على النظام الاستعماري كان للحركة النسائية اليمنية دورها البارز في اطار الحركة الوطنية التي خاضها الشعب اليمني ضد الاستعمار والإمامة كما كانت لها أدوار مشهودة في الدفاع عن أهداف ومبادئ الثورة اليمنية «26 سبتمبر و14 أكتوبر المجيدتين» وشاركت المرأة في هذا النضال وكانت البداية الأولى في المحافظات الجنوبية وتحديداً في المستعمرة «عدن» حيث تأسس -النادي النسائي البريطاني- في أوائل الأربعينيات بهدف تجميع النخب من نساء الأسر البريطانية و«زوجات الضباط والقادة السياسيين» الى جانب نساء الأسر اللواتي يمثلن الطبقة الارستقراطية ونساء الأسر الوافدة من الهند، اليونان، ولبنان.. الخ، وانصب عمل النادي على الأنشطة الاجتماعية حيث اقتصرت على التجمعات واللقاءات والمحاضرات لشرح اساليب الحياة التي تعيشها المرأة في بريطانيا.

وخلال فترة وجيزة من عمر تأسيس النادي شعرت العديد من النساء في عدن بأن أهداف النادي لا تخدم قضية المرأة في عدن فبدأت الحركة النسائية اليمنية في النضال بشكل متطور نسبياً ومن أجل احتواء نضالها سمح الاستعمار بإنشاء مؤسسة نقابية للمرأة لأول مرة في تاريخ البلاد وبذلك تأسست «جمعية المرأة العدنية» التي اسستها الفقيدة رقية محمد ناصر «أم صلاح»، وبمعية العديد من النساء اللواتي قدن نشاط وعمل الجمعية التي تمكنت من كسر طوق العزلة، ووضع معالم نشاطها مُحدثة نقلة نوعية تميز فيه النشاط بين محو أمية المرأة وفتح صفوف التقوية للطالبات وكذا التدابير المنزلية والتطريز والاشغال اليدوية والتحقت بصفوف الجمعية العديد من الشابات اللواتي أخذت آمالهن وطموحاتهن تتشكل في ظل معطيات المد الثوري العربي مع قيام وانتصار ثورة 23 يوليو 1952م.. ومع تبلور الحس الوطني خرجت النساء مشاركات في المسيرات العمالية التي شهدتها مدينة عدن 1956م مع تأميم قناة السويس وعندما بدأ النمو السياسي والوطني يزيد بين النساء في عدن ظهر العجز الواضح بين القيادات النسوية.

كما تأسست «جمعية المرأة العربية» بقيادة رضية إحسان الله، وليلى الجبلي، في عدن عام 1956م مع رائدات أخريات وكان للجمعية أدوار مشهورة في النضال الذي خاضه الشعب في المحافظات الجنوبية ضد الاستعمار البريطاني، كما اهتمت بشئون المرأة والطفل وكان لها دور كبير في حث المجتمع على تعليم البنات بإلحاقهن في المدارس ودفع النساء الى الدفاع عن حقوقهن التعليمية والعملية وتوعية المرأة والمجتمع بأهمية التحرر والمطالبة بالاستقلال عن الاستعمار البريطاني وكان لها دور كبير في اشعال ثورة الشيأذر وفيها خرجت المرأة في عدن بالمطالبة بنزع الشيأذر واحراقها كرمز لخروج المرأة للتعلم والعمل ونادت بالتعليم للمجتمع.

كما كان للجمعية دور كبير في دعم ثورة 26 سبتمبر 1962م ضد الإمامة وفي مساعدة النساء في رص صفوفهن دفاعاً عن الثورة والجمهورية وبدأ تشكيل النشاط السياسي للنساء من بين صفوف هذه الجمعية حيث تأسس التنظيم النسائي التابع للجبهة القومية في عام 1965م وهو تنظيم مسلح لمقاومة الاستعمار البريطاني شارك النضال مع التنظيم الطلابي والعمالي.

وأوضحت الدكتورة نجيبة مطهر أن العمل في القطاع النسائي التابع للجبهة القومية وجبهات التحرير والتنظيم الشعبي الناصري بدأ من خلال المسيرات وايواء الفدائيين ونقل المؤن العسكرية والفدائية وتوزيع المنشورات، كما تم تجنيد النساء لمساعدة الثوار في الحرب ضد الاستعمار وكان للمرأة دور كبير في حمل الأسلحة وتوزيع المنشورات والبعض منهن دربن على حمل واستخدام الأسلحة والمتفجرات وأعمال فدائية متعددة مثلها مثل زميلها الرجل في مقاومتهم للسلطة الاستعمارية في عدن كما قادت النساء مظاهرات حاشدة عام 1959م احتجاجاً على اساليب السلطة الوحشية في قمع الجماهير.

كما لعبت المرأة دوراً مهماً في نجاح الكفاح المسلح واسهمت في خوض مختلف اشكال النضال السياسي التحرري منذ اللحظة الأولى للثورة.. فقد حملت السلاح وقاتلت ضد قوات الاحتلال البريطاني- وأبرزهن الفقيدة المناضلة دعرة لعضب، والفقيدة أم شائع.

كما ساهمت في تحرير المناطق الريفية وفي حراسة المناطق المحررة، من داخل الجبهة القومية ومن داخل جبهة التحرير.. حتى نيل الاستقلال الوطني في 30 نوفمبر 1967م.

لقد اثبتت المرأة فعاليتها إبان المعارك السياسية في عدن فشاركت في التنظيمات السياسية وتصدرت المظاهرات وقامت بتوزيع المنشورات والبيانات كما شاركت في نقل الرسائل والأسلحة والذخيرة وفي توفير الغذاء للمناضلين وفي رصد تحركات القوات البريطانية وعملائها وتزويد الثوار بالمعلومات وقادت الاضرابات واخفاء الفدائيين وتوعية النساء وتعبئتهن للوقوف الى جانب الثورة وجمع التبرعات منهن.

وعندما أراد الاستعمار مسخ الشخصية الوطنية عن طريق فرض المناهج الاستعمارية في كافة المدارس شعرت المرأة بالخطر من هذه المناهج مما دفع طالبات ثانوية خور مكسر للبنات الى القيام بالاضراب العام والخروج في مظاهرات ضد المناهج الاستعمارية في العام 1962م سرعان ما انتشر خبرها الى مدارس البنين واشتركا معاً في مظاهرات صاخبة تندد بالاستعمار ومشاريعه غطت هذه المظاهرات معظم شوارع عدن عدة أيام مما دفع بالسلط الاستعمارية الى اغلاق المدارس والكليات عدة أشهر، بعدها لم تجد معها السلطة الاستعمارية سوى دفع وزير التربية والتعليم آنذاك الى عقد اجتماع مع الطالبات وأولياء أمورهن والرضوخ الى مطالبهن.

واستطردت الدكتور نجيبة مطهر قائلة: إن التحول الحاسم الذي شهدته عدن منذ اكتوبر 1963م بانتهاج اسلوب النضال المسلح ضد الاستعمار وعملائه دفع المرأة الى المشاركة بفعالية في النضال من أجل السيادة والاستقلال وبرز دورها في تكوين النقابات العمالية عام 1966م هذه النقابات كان لها دور مهم في نجاح الثورة.. ففي عام 1967م قام وفد نسوي من الشطر الجنوبي بزيارة الى الشطر الشمالي للتعرف على نضال الحركة الوطنية اليمنية وتبادل الخبرات وقد تكون الوفد من الأخوات زهرة هبة الله علي، نجوى مكاوي، عائدة علي سعيد، وفوزية جعفر.

في 16 فبراير 1968م تم تشكيل لجان شعبية نسوية على مستوى الأحياء ولجنة تحضيرية عليا لاتحاد نساء برئاسة المرحومة عائد علي سعيد، وفي عام 1974م عقد المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام لنساء اليمن في عدن بقرار جمهوري تدعيماً لنضالات المرأة ودورها النضالي في الكفاح المسلح.

كانت أول رئيسة للاتحاد بعد تشكيله عائشة محسن وقد ضم الاتحاد العام لنساء اليمن نساء المحافظات الجنوبية وفق أسس وأهداف حددها الاتحاد في النظام الأساسي واللائحة الداخلية كما أسهم في الدفع بالمرأة لتحتل مكانتها في الحياة الاجتماعية والسياسية، وتشكل القطاع النسائي للجبهة القومية الذي استطاع أن يسهم وبوعي في تحرير الوطن كما استطاع القطاع النسائي وبمساعدة أبطال الثورة أن يبني قطاعاً نسائياً منظماً قادته الفقيدة زهرة هبة الله علي والتي وصلت الى أعلى المراتب التنظيمية حينها، وهي الشعبة حيث كانت عضواً في شعبة عدن أي في قيادة التنظيم في العاصمة.

كما لعب القطاع النسائي لجبهة التحرير دوراً لا يقل أهمية تحت قيادة الاخوات ليلى جبلي، ورضية إحسان الله، ونعمة سلام، وزنوبة حميدان، وبنفس القدر من الحماس لعب القطاع النسائي لحزب الاتحاد الديمقراطي الشعبي وحزب البعث العربي دوراً لا يستهان به.

لقد نالت المرأة اليمنية شرف الاستشهاد ومنهن: الشهيدة خديجة الحوشبية، والشهيدة عائشة كرامة والشهيدة فاطمة.

مشيرة الى أن امرأتان نالتا شرف الاعتقال على أيدي سلطات الاحتلال حيث اقتيدت المناضلة الفقيدة نجوى مكاوي والمناضلة فوزية محمد جعفر اللتان كانتا في سيارة تقودها الأولى الى معتقل بشرطة خور مكسر بعد أن ضبطن وهن يقمن بتوزيع منشورات للجبهة القومية في المناطق تدعو في فيها الجماهير الى مسيرة جماهيرية لتشييع جثمان الشهيد الفدائي عبود.

كما لن أنسى الجسارة التي كانت تتمتع بها المرأة اليمنية حيث كن يصعدن الى منابر المساجد يذعن منشوراً للتنظيم وكانت على رأسهن المناضلة الفقيدة زهرة والمناضلة أنيسة الصايغ وعائدة علي سعيد، وفوزية جعفر وقد كانت الدوريات العسكرية تحاصر المسجد.

لقد شكل نضال المرأة اليمنية في عدن علامات مضيئة في سجل تاريخ شعبنا اليمني النضالي.

ولم تكن المرأة في الشطر الجنوبي من الوطن بمعزل عن نضال الحركة الوطنية اليمنية في المحافظات الشمالية..

وفيما يتعلق بدور المرأة في المحافظات الشمالية فقد أوضحت الكتور نجيبة مطهر أنه في عام 1958م تأسست أول موسسة مدنية في صنعاء في معهد التمريض برئاسة الأستاذ عاتكة عبدالله الشامي، وكان للجمعية دور في التوعية بأهمية التعليم والخروج من بوتقة الفقر والتخلف وكانت أول مظاهرة احتجاج للفتيات تخرج من جمعية المرأة في معهد التمريض في صنعاء وقد طالبن بفتح مدرسة للبنات فأمر الأمام أحمد بغلق الجمعية.

وفي عام 1964م فتحت البعثة المصرية في تعز مركزاً للمرأة لمحو الأمية وتعليمها المهارات اليدوية واقيمت عدة أنشطة في المركز أهمها التوعية الصحية والتعليمية وعرض أفلام سينمائية.. الخ.

وفي نوفمبر 1965م حول اسم المركز الى اسم جمعية المرأة اليمنية وبذلك تم تأسيس أول جمعية للمرأة اليمنية بتعز واختيرت الاستاذة فاطمة أبوبكر عولقي رئيسة لها.

وفي مايو 1965م وصلت رضية إحسان الله الى صنعاء قادمة من عدن وعقدت اجتماعاً كبيراً دعت فيه الى رص صفوف النساء وتأسيس جمعية نسائية لتمارس المرأة فيها انشطتها المختلفة لتعليم الفتيات المهارات المختلفة ومحو أمية النساء واختيرت أم الشهيد عبدالله اللقية رئيسةً للجمعية إلاّ أنها لم تستمر أكثر من عام ثم أغلقت بسبب عدم اهتمام النساء وبسبب الحرب التي كانت بين النظام الجمهوري والملكي.

في عام 1967م أسست حورية المؤيد وفتحية الجرافي جمعية كانت ترأسها أم الشهيد عبدالله اللقية، وهي جمعية المرأة اليمنية وقد كان لها دور كبير في توعية المجتمع بأهمية الثورة والحفاظ على النظام الجمهوري وبضرورة تعليم البنات وقد أجريت انتخابات ديمقراطية للجمعية في عام 1984م وتم انتخاب الاستاذة عاتكة عبدالله الشامي رئيسة للجمعية وقد استمرت حتى تم دمجها مع الجمعيات في المحافظات.

أما في إب فقد أسست حبيبة الخمري جمعية المرأة اليمنية عام 1970م وفي الحديدة أسست طيبة بركات جمعية باسم جمعية المرأة اليمنية.. وفي ذمار تأسست جمعية المرأة اليمنية برئاسة فائزة العزاني.

قبل إعادة وحدة التربة اليمنية في أبريل 1990م كان لابد من دمج الجمعيات التي في صنعاء، تعز، إب، الحديدة، ذمار.. يكون اتحاداً نسائياً يدمج مع نظيره في المحافظات الجنوبية فشكلت لجان تحضيرية وتم انتخاب هيئات إدارة للفروع في تعز، إب، الحديدة، صنعاء، ومن ثم انتخاب مكتب تنفيذي برئاسة الأستاذة أمة العليم السوسوة وسمي باسم الاتحاد النسائي اليمني العام.

وفي مارس 1990م تشكلت لجان لدمج المؤسسات المتشابهة في الشطرين وكانت من ضمنها لجنة دمج الاتحادين النسائيين واختيرت المرحومة عائدة علي سعيد أول رئيسة للاتحاد الموحد وسمي باسم اتحاد نساء اليمن الذي لعب دوراً أساسياً في الوحدة الوطنية وفي حرب 1994م برز هذا الدور لاتحاد نساء اليمن من خلال مشاركتهن في التنظيمات السياسية وتصدرن المظاهرات وفي توعية النساء وتعبئتهن للوقوف الى جانب القوى الوطنية وجمع التبرعات وغيرها من الأعمال البطولية الرائعة فداءً للوطن وللوحدة.

وبعد قيام دولة الوحدة في الـ22 من مايو 1990م تعديل الكثير من التشريعات واستصدار قوانين جديدة وتواكب المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية لذلك فإن تقدماً قد سجل في التسعينيات عكس درجة التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي وشهدت تلك الفترة تزايد مشاركة المرأة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والوصول الى قيمة مفادها أن التطور الخاص في القوانين والتشريعات اليمنية في غالبيته إنما هو تطور جاء نتيجة لتطور الأوضاع المجتمعية بشكل عام ولذلك أخذت أوضاع المرأة تتغير تغيراً ايجابياً واصبحت هذه المتغيرات تفرض نفسها على المجتمع بعد ارتفاع نسبة التحاق الفتيات والنساء بمجالات التعليم والتدريب والعمل ومجالات النشاط الاقتصادي والثقافي وتوسيع قاعدة مشاركتهن في هذه المجالات.

وما كانت قد حصلت عليه المرأة في العام 2009م، بدعوة فخامة الأخ الزعيم علي عبدالله صالح -رئيس الجمهورية الأسبق رئيس المؤتمر الشعبي العام- الى اعطاء المرأة نسبة «الكوتا» في مختلف المجالات بما لا يقل عن 15% وتعميمها في الحياة السياسية والهيئات التشريعية لضمان دعم مشاركة فاعلة للمرأة وضرورة اشراكها في صناعة القرار في مختلف مفاصل الدولة والمجتمع على طريق بناء الدولة اليمنية الحديثة وتحقيقاً لمبدأ العدالة والانصاف وانتصاراً لشرع الله القاضي بأن يكون لـ«النساء نصيب مما اكتسبن» كالرجال سواءً بسواء.